موقع فضيلة الشيخ
د.محمد إسماعيل المقدم

شرح كتاب

الداء والدواء

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم

كذلك أيضًا بالنسبة للأعمال الصالحة، يؤجل التوبة ولايدري أجله بيد غيره وروحه في يد غيره يقبضها متى يشاء، فإذا أتاك ملك الموت تتحسر أشد الحسرة على هذا الضياع.

فهذه أيضًا من الأشياء التي يُغالط الإنسان بها نفسه على هذه الأسباب.

كما ذكرنا الاتكال على عفو الله ومغفرته تارةً، التسويف تارةً أخرى، يفعل المعاصي ويستغفر بلسانه يقول أنا استغفرت!

ويقول :استغفر الله، استغفر الله..

وأحيانا يُفرط في المعاصي، ويفعل المندوبات يقول :أنا أفعل خير كثير!!!

مثلًا :يكون لا يُصلي ويفعل أشياء محرمة، يقول :أنا بفعل خير كثير، الشيطان يغره بالأعمال الحسنة التي يفعلها، في حين أنه مستمر على المعاصي، كترك الفرائض مثلًا أو ارتكاب المحرمات وهو يفعل المندوبات، فيغتر بالمندوبات ويظن أن المندوبات ستُنجيه مع تضييعه للفرائض أو ارتكابه للمحرمات.

أحيانا يغره بالعلم، يغتر بالعلم تارةً أخرى، أحيانًا يغتر الإنسان بالقدر كما ذكرنا من قبل، يمنع ويغالط نفسه عن الأسباب بأن يحتج بالقدر وقد ذكرنا هذا من قبل مرارًا .

أحيانا يحتج بالأشباه والنظائر)كل الناس بيعملوا زيي، يعني كل الناس حتروح النار (أليس هذا ما تسمعونه من الناس؟!

أحيانا يحتج بالاقتداء بالأكابر يقول :الشيخ بتوع الجوامع اللي ساكتين أو بيعملوا هذا الشيء !هل هذا يكون محرمًا ويفعلونه؟؟

وهكذا تجد كل هذه أنواع من مغالطة الإنسان نفسه على هذه الأسباب التي اتضحت له إذا نظر في القرآن والسنة، وسنن الله، وأيام الله، وتاريخ الأمم بعدما يعرف تفاصيل أسباب الخير والشر لكنه لا ينتفع بهما ,لماذا؟ لأن نفسه تُغالطه ببعض هذه الأساليب.

يقول الحافظ إبن القيم -رحمه الله-)) :وَكَثِيرَ مِنْ اَلنَّاسِ يظن إِنَّهُ إِذَا فَعَلَ مَا فِعْلٌ ثُمَّ قَالَ اِسْتَغْفَرَ اَللَّهُ ,زَالَ اَلذَّنْبُ وَرَاحَ هَذَا بِهَذَا((

المسكين يظن بأن يقول أستغفر الله يكون الذنب قد زال، ما من إنسان يذنب و يرتكب معصية ومهما استغفر ما في أحد بعد إرتكاب المعصية يستطيع أن يجزم أن الله قد غفر له يظل طول عمره خائفًا من هذه المعصية حتى يلقى الله وينظر ما له عند الله –سبحانه وتعالى- قبل ذلك لا يستطيعُ أحدٌ أبدًا أن يعرف هل تاب عليه الله أم لا إلّا بالوحي، لكن يُعلّق أمله بالله ﷻ، ويطمع في رحمة الله، لكن يجزم أنه غُفر له لا أحد يعرف، نحن في دار الامتحان، والنتيجة تظهرُ هناك في الدار الآخرة.

((وَكَثِيرَ مِنْ اَلنَّاسِ يظن إِنَّهُ إِذَا فَعَلَ مَا فِعْلٌ ثُمَّ قَالَ اِسْتَغْفَرَ اَللَّهُ , زَالَ اَلذَّنْبُ وَرَاحَ هَذَا بِهَذَا))

الإستغفار يغسل المعصية.

)وَقَالَ لِي رَجُلُ مِنْ اَلْمُنْتَسِبِينَ إِلَى اَلْفِقْهِ أَنَا أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ ثُمَّ أَقُولُ سُبْحَانَ اَللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةِ مَرَّةٍ وَقَدْ غُفِرَ ذَلِكَ أَجْمَعُهُ كَمَا صَحَّ عَنْ اَلنَّبِيِّ -صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَنَّهُ قَالَ)مَنْ قَالَ فِي يَوْمِ سُبْحَانَ اَللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةِ مَرَّةٍ حَطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ اَلْبَحْرِ (هَذَا اَلْحَدِيثِ صَحِيحٍ لَكِنَّ هذا أقرب ما يكون للاستهزاء واَلِاسْتِخْفَافِ بِاَللَّهِ –حَاشَاهُ – أنه يُقدم على المعصية ويقول أنا أفعل المعصية وبعد أن انتهي وأفرغ من شربِ اَلْخَمْرَ أو غير ذلك من الحرام سأقول سبحان الله وبحمده مائة مرة وأتوب، هذا يعني اغترار واستخفاف ! !كما قال ابن القيّم

) وقال لي آخرُ من أهل مكة: نحن أحدان إذا فعل ما فعل – يعني إذا فعل ما فعل من المعاصي- اغتسل وطاف بالبيت أسبوعًا، وقد محي عنه ذلك) أسبوعًا يعني سبعة أشواط (وقد محي عنه ذلك) والحديث يقول: (قلْتُ لابنِ عُمرَ: أَراكَ تُزاحِمُ على هَذَينِ الرُّكنَينِ؟ قال: إنْ أَفعَلْ؛ فقد سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: إنَّ مَسْحَهُما يَحُطّانِ الخَطايا. قال: وسمِعتُه يقولُ: مَن طافَ بهذا البَيتِ أُسبوعًا يُحْصِيه، كُتِب له بكُلِّ خُطوةٍ حسَنةٌ، وكُفِّر عنه سَيِّئةٌ، ورُفِعَتْ له دَرَجةٌ، وكان عِدْلَ عِتْقِ رَقَبةٍ) [حديث حسن].

وقال لي آخر قد صحَّ عن النبي -صلى الله عليه وسلم -أنه قال »أذنب عبدٌ ذنبًا فقال أي رب أصبت ذنبا فاغفر لي فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا آخر فقال أي رب أصبت ذنبًا أصبت ذنبا فاغفر لي فقال الله ﷻ علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليصنع ما شاء «قال وأنا لا أشك أن لي ربًا يغفر الذنب ويأخذ به.

) ويقُولَ أيضًا ابنُ القيّم :وَهَذَا اَلضَّرْبُ مِنْ اَلنَّاسِ قَدْ تُعَلِّقُ بِنُصُوصٍ مِنْ اَلرَّجَاءِ وَاتَّكَلَ عَلَيْهَا وَتَعَلَّقَ بِهَا بِكِلْتَا يَدَيْهِ وَإِذَا عُوتِبَ عَلَى اَلْخَطَايَا وَالِانْهِمَاكِ فِيهَا سَرَدُ لَكَ مَا يَحْفَظُهُ مِنْ سِعَةِ رَحِمَهُ اَللَّهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَنُصُوصُ اَلرَّجَاءِ ، وَلِلْجُهَّالِ مِنْ هَذَا اَلضَّرْبِ مِنْ اَلنَّاسِ فِي هَذَا اَلْبَابِ غَرَائِبَ وَعَجَائِبَ كَقَوْلِ بَعْضهُمْ :وَكَثُرَ مَا اِسْتَطَعْتُ مِنْ اَلْخَطَايَا إِذَا كَانَ اَلْقُدُومُ عَلَى كَرِيمٍ(

دا إنت إذا قلتها في حق واحد من البشر، فيُعتبر هذا استخفافًا به !!فكيف بالله

-سبحانه وتعالى) -وكثّر ما استطعت من الخطايا (أليس بهذه تُضاد إرادة الله ﷻ الذي لايأمُر بالفحشاء، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وأنت تقول):وكثّر ما استطعت من الخطايا إِذَا كَانَ اَلْقُدُومُ عَلَى كَرِيمٍ)

"وقولٌ آخر التنزُه من الذنوب جهلٌ بسعة عفو الله

وقال آخر تركُ الذنوب جراءةٌ على مغفرة الله واستصغار

وقال الإمام محمدٌ ابن حزم رأيتُ بعض هؤلاء يقول في دعائه اللّهم إني أعوذ بك من العصمة -تسأل الله الصمة أن يعصمك ويحفظك مش تقول اللهم إني أعوذ بك من العصمة- ومن هؤلاء المغرورين ,من يتعلق بمسألة الجبر وأنّ العبد لا فعل له البتة ولا اختيار !!وإنماهو مجبورٌ علي فعل المعاصي أليس الله يقول ﷻ} :إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ] {القمر[49: نحن ننفذ إرادة الله ﷻ ويفعل المعاصي، فهذا يعني إذا فعل معصية فيكون يبغي، لكن إذا فعل الطاعة يكون بذلك قدري، إذا فعل الطاعة يقول لا أنا أستحقُ الثواب، دا أنا فعلت وتعبت وكذا ..والله ﷻ قال كذا وكذا ..دخول الجنة بالأعمال وهكذا كما قال بعض العلماء في حق مثل هذا الرجل، يعني أنت عند الطاعة قدريٌّ وعند المعصية جبريٌّ أيّ مذهبٍ وافق هواك تمذهبت به

فهم لا يذكرون الجبر والقدر ولا يحتجون بالقدرإلا على المعاصي لماذا بالذات؟؟

لاتباع الهوى تقول القدر والجبر وغير هذا من الأشياء !!!

ومن هؤلاء من يغترُ بمسألة الإرجاء أنّ الإيمان هو مجرد التصديق يقول الإمام :)ومن هؤلاء من يغتر بمسألة الإرجاء و ويقول أن الإيمان هو مجرد التصديق، وأنّ الأعمال ليست من الإيمان، وأنّ إيمان أفسق الناس كإيمان جبريل وميكائيل(وهذا ما ناقشناهُ بالتفصيل في بحث الإيمان والكفر..

ومن هؤلاء من يغتر بمحبة الفقراء المشايخ والصالحين فيقول :أنا أحب هؤلاء الناس الصالحين وأكثر التردد على قبورهم واتضرعُ إليهم واستشفعُ بهم على الله !! وأتوسل إلى الله بهم!! وأسأله بحقهم عليه وحرمتهم عنده!! وهذا لا شك سوف ينفعني.

ومنهم من يغتر بآبائه وأسلافه، وأن لهم عند الله مكانة وصلاحًا فلا يدعوه أن يخلصوه -يعني لابد الواحد يقول أنا أباهي من الناس الصالحين أو من آل البيت أو غير ذلك لايمكن سيتركوني أُعذب، لابد سيتدخلون وينقذوني من عذاب الله ﷻ كما يشاهَد في حضرة الملوك فإن الملوك تهب لخواصهم ذنوب أبنائهم وأقاربهم وإذا وقع أحد منهم في أمر مفضع خلَّصه أبوه وجده لجاهه ومنزلتهِ.

وَمِنْهُمْ مِنْ يَغْتَرُّ بِأَنَّ اَللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ، وَعَذَابُه لَا يَزِيدُ فِي مُلْكِهِ شَيْئًا وَرَحْمَتُهُ لَهُ لَا تَنْقُصُ مِنْ مَلِكَةٍ شَيْئًا، فَيَقُولَ: ربنا اصلح حالنا، فهو أغنى عن عذابي ، فإن عذبني لا يزيد في ملكه شيئًا، وإن رحمني فإن ملكه أيضًا لا ينْقُصُهُ شَيْئًا فيقول: أَنَا مُضْطَرٌّ إِلَى رَحْمَتِهِ وَهُوَ أَغْنَى اَلْأَغْنِيَاءِ، وَلَوْ أَنَّ فَقِيرًا مِسْكِينًا مُضْطَرًّا إِلَى شَرْبَةِ مَاءٍ عِنْدَ مِنْ فِي دَارِهِ شَطَّ يَجْرِي لِمَا مَنَعَهُ مِنْهَا، فَاَللَّهُ أَكْرَمُ وَأَوْسَعُ وَالْمَغْفِرَةُ لَا تُنقصُه شيئًا وَالْعُقُوبَةُ لَا تَزِيدُ فِي مُلْكِهِ شَيْئًا(

يقول) :ومنهم من يغتر بفهمٍ فاسدٍ فهمه هو وأضرابه من نصوص القرآن والسنة فاتكلوا كاتكال بعضهم على قوله تعالى: }وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى] {سورة الضحى [5:وقالوا: وهو لا يرضى أن يكون في النار، يعني الرسول ﷺ لا يرضى أن يكون واحدً من الموحدين يكون في النار، ونظمها في بعض أبياتٍ للشعر، كقول القائل:

ولقد قرأنا في الضحىٰ فلسوف يُعطيك ... فسرّ قلوبنا ذاك العطاءُ

وحاشىٰ يا رسول الله ترضىٰ ... وفينا من يُعذبُ أو يُساءُ

وقال الآخر:

أترضىٰ حبيبي أن تكون مُنعمًا ... ونحنُ في جنب اللظىٰ نتقلبُ

ألم يُرضكَ الرحمٰنُ في سورة الضحىٰ ... وكيف ترضى وفينا مُعذبُ

فإن الرسول ﷺ لن يرضىٰ وواحد من أمته في النار، والجواب أنّ هذا من أقبح الجهل وهذا من أبين الكذب على النبي ﷺ لماذا؟؟

لأن الرسول ﷺ يُرضيه ما يُرضي الله عز وجل يرضيه، فكُل ما يُرضي الله ﷻ يُرضي رسوله ﷺ، والله تعالى يُرضيهُ تعذيب الظلمة كما عذبوا الناس ويُرضيه معاقبة الخونة والفسقة والمصرّين على الكبائر، فحاشا برسوله -صلى الله عليه وسلم -ألا يرضىٰ بما يرضىٰ به ربه تبارك وتعالى .

{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: 53]

منهم أيضًا من يحتجُ بهذه الآية {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: 53] يعني يتعلقون بقوله تبارك وتعالىٰ {۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)} كيف نفهم هذه الآية وما الجوابُ على هذا الاستدلال، لما واحد يقول ربنا يغفر كل الذنوب، فلآية تقول: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ}

نعم إنّ الله ﷻ يغفرُ الذنوب جميعًا لكن في حقّ من، هذه الآية في حقّ من؟؟ هل لكل الناس حتى المُصرّين! حتى المشركين!بل لمن تاب وعمل صالحًا.. نعم.

الشاهد أنه لايصحُّ الاستدلال بمُطلق الآية هكذا {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ} لا، هذه الآية في حق التائبين -يتوب من الذنب ثمّ يغفر الله له- لكن لو كان مُصرًا هنا الدليل على ذلك في حقّ التائبين، أنّ هذه الذنوب تشمل الشرك فيما تشمل، تشمل الشرك الأكبر، والله ﷻ في الآية الأخرىٰ يقول: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا}[النساء: 48] وهذه الآية تقول{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ} في حقّ التائبين حتى لو تابوا من الشرك كما قال ﷻ {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ}[الأنفال: 38] فالشرك يُغفر بماذا؟؟ بالتوبة ، كذلك الذنوب تُغفر بالتوبة.

يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى:-

فهذا أيضًا من أقبحِ الجهل، أنّ الشِرك داخلٌ في هذه الآية، فإنه رأس الذنوب وأساسها، ولا خلاف أنّ هذه الآية في حقّ التائبين قول الله ﷻ **{إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا]{مريم[60 :**

كذلك قال{ :وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ }]الفرقان [68 :إلى آخره ..قدرها بماذا؟؟

}وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ {ثمّ بعد ذلك قال}:وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا {]الفرقان [68 :يعني من يفعل كل هذه المعاصي ابتداءًا من الشرك، إلى القتل، إلى الزنىٰ، إلى غيره}: ..وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا] {الفرقان [69 :ثمّ قال } : إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا { الفرقان[69 : ويقول تبارك وتعالى:{إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ}[الأنفال: 38] يقول :ولا خلاف أنّ هذه الآية في حقّ التائبين، فإنه يُغفرُ ذنبُ كلّ تائبٍ من أيّ ذنبٍ كان، ولو كانت الآية في حقّ غير التائبين لبطلت نصوص الوعيد كلّها، وحديث إخراج قومٍ من الموحدين من النار بالشفاعة، يعني لو أنّ هذه الآية عامة كما ذكرنا

{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ } فنقول أولًا الذنوب يدخُل فيها رأس الذنوب وهو الشرك، فهل الله ﷻ يغفرُ الذنوب جميعًا حتى الشرك لمن لم يتُب؟

إذًا المقصود هذا أولًا، المقصود التائبين فقط، والدليل أيضًا أننا لو اعتمدنا هذا الفهم الثقيل {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ } ويتمادىٰ في المعاصي ويقول أنّ الله يغفرُ الذنوب جميعًا.

الأمر الثاني: أنّ هذا يترتب عليه ابطال جميع نصوص الوعيد، أي حديث فيه توعُد على معصية أو على ذنب، فيُبطل كلُّ هذه الأحاديث وتُصبح لغوًا، لا معنى له.

كذلك أحاديث إخارجُ قومٍ موحدين من النار بالشفاعة، هم موحدون لكن بدخلون النار؛ لأنّ خروجهم من النار يدُل على أنهم آثمون، وأنّ الوعيد تحقق في حقهم، وهذا إنما أتىٰ صاحبه من قلّة علمه وفهمه، فإنّه ﷻ ها هنا عمّم وأطلق،{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ } فعُلم أنه أراد التائبين، وفي سورة النساء خصّص وقيّد وقال ﷻ {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا}[النساء: 48] طبعًا التوبة المعلقة على المشيئة، يعني توبة من مات مُصرًا على المعاصي دون أن يتوب فهذا في المشيئة إن شاء عذبهُ وإن شا عفىٰ عنه.

لكن إن تاب قبل موته تُقبل توبته؛ لأنها استوفت شروطها.

فأخبر سبحانه أنه لا يغفرُ الشرك، وأخبر أنه يغفر ما دونه، ولو كان هذا في حقّ التائب لم يُفرّق بين الشرك وغيره، وكان اضطرار بعض الجُهال، هنا يذكر بعض الآيات التي يسيء بعض الناس فهمها، فتكون سببًا في مغالطة نفسهم على هذه الأسباب.

يقول: وكاِغترارِ بعضِ الجُهال بقوله ﷻ:{يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الإنفطار: 6] فهذا الجاهل يقول كرمهُ هو الذي غرّني!! والآية أصلًا في سياق العتاب والتقريع والتوبيخ،{يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} فنقول له ماالذي غرك؟ فيقول :كرمُهُ، وقد يقول بعضهم –لقن المُغْترَ حُجته- وهذا جهلٌ قبيح، وإنما غرّهُ به الغرور وهو الشيطان، ونفسه الأمارة بالسوء، وجهلهُ وهواه، وأتىٰ سبحانه بلفظ الكريم {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} الكريم خو السيّدُ العظيم المُطاع الذي لا ينبغي الاغترارُ به ولا اهمالُ حقّه، فوضع هذا المُغترُ الغرورَ في غير موضعه، واغترّ بمن لا ينبغي الاغترارُ به، وكاغترار بعضهم بقوله تعالى في النار{لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى}[الليل:15-16] يقول أنا لا كذبتُ ولا توليت! أنا مُسلمٌ موحد وأقول (لا إله إلّا الله) والآية النار فقط يدخُلها هؤلاء!! {لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى}

ويغترون كذلك بآية {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [آل عمران: 131] وهذه خاصة بالكفار!! ولم يُدرك هذا المُغتر أنّ قوله تبارك وتعالى: {فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى} [سورة الليل:14] هي نارٌ مخصوصة، لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى هذه طبقة خاصة من طبقات النار خاصة بأشقىٰ الناس من الكفار والفجّار، هي نار مخصوصة من جملة دركات جهنم ولو كانت جميع جهنم فهو سبحانه لم يقل لا يدخلها بل قال سبحانه {لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى} [الليل:15]

لا يصلاهَا: يعني لا يجدُ حرّها، ولا يلزمُ من عدم صِلِيّها عدم دخول، فإنّ الصلِّي أخصُّ من الدخول، ونفيّ الأخص لا يستلزمُ نفي الأعم، فهذه النارُ هي الصلّي {فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى}لظىٰ، {لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى} هذه دركة خاصة من النار لطائفة معينة من الكفار، فمش معنى أن إنسان مسلم موحد وعاصي، كونه لا يدخل هذه النار مش معناها لن يدخل النار أصلًا، لأنّ هذا الصلّي أخص من دخول النار، فممكن يدخل النار ولكن لا يدخل هذه الطبقة بالذات -والعياذُ بالله –

ثمّ يقول أن هذا المغتر لو تأمل الآية التي بعدها لعلِم أنه غير داخلٍ فيها، فلا يكون مضمونًا له أن يُجنبها، يعني هو بيقول في الآية: { {فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا

يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى* الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ}يقول الإمام ابن القيّم: (اكمل الآية ستجد أنّ هذا المغرور لا حظّ له فيها)

}وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى*الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ} [الليل: 16،17] وهذا الشخص الذي يتمادىٰ في المعاصي، ولا يتقّ الله.

هل يدخُل في هذا القسم؟؟

{ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى*الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ}هذا لا يتقّ الله؛ لأنه يتمادىٰ في المعاصي، فهو لا حظّ له أيضًا فيها لن يُجنبها.

{ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى} يعني النار التي تلظّىٰ سيوقاها { وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى*الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى}[الليل: 17،18] فهل هذا الذي يتمادىٰ بالمعاصي ويستدل بهذه الآية {لا يَصْلَاهَا إِلاَّ الأَشْقَى} هل هو سيُجنبها، أم سيدخُلها؟؟

فالذي يوقَّاها هو الأتقى، وهو الذي لا يتقي الله؛ لنه يتمادى في معاصي الله ﷻ

ثمّ يقول ابن القيّم: (فأما قوله تعالى في النار {أُعدّت للكافرين} فقد قال في الجنّة {أُعدّت للمتّقين}هو يقول النار أُعدت للكافرين، فهو جوابه أن الله ﷻ قال في الجنة أيضًا أنها أُعدت للمتقين، وأنت لم تتقي الله.

وَلَا يُنَافِي إِعْدَادَ اَلنَّارِ لِلْكَافِرِينَ أَنْ يَدْخُلَهَا اَلْفُسَّاقُ وَالظُّلْمَةُ وَلَا يُنَافِي إِعْدَادَ اَلْجَنَّةِ لِلْمُتَّقِينَ أَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ اَلْإِيمَانِ وَلَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قِط.

ثمّ يذكر أيضًا صورًا من المغترين يقول: وَكَاغْتِرَارِ بَعْضهُمْ بِالِاعْتِمَادِ عَلَى صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَوْ يَوْمِ عَرَفَة حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ صَوْمُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ يَكْفُرُ ذُنُوبَ اَلْعَامِ كُلِّهَا وَيَبْقَى صَوْمُ عَرَفَة زِيَادَةً فِي اَلْأَجْرِ، المسكين يعني يقول صوم يوم عرفة يكن زيادة في الأجر، ويوم عاشوراء يُكفر ذنوب السنة كلها، ولم يدري هذا المُغتر أنّ صوم رمضان، والصلوات الخمس أعظم، وأجلّ من صيام يوم عرفة ويم عاشوراء وهي تُكفّر ما بينهما إذا أُجتنبت الكبائر.

فرمضان إلى رمضان، والجمعة إلى الجمعة، لا يقويان على تكفير الصغائر إلّا مع انضمام ترك الكبائر إليها.

فهذه المُكفرات كلها لا تقوىٰ على تكفير الصغائر، إلّا إذا انضم إليها بجانب الصيام والصلاة وصيام عاشوراء صيام عرفة لابد أن تجتنب الكبائر، حتى يقوىٰ على محوّ الصغائر.

فكيف يُكفر صوم يم تطوعٍ كلّ كبيرةٍ عملها العبدُ وهو مُصرٌّ عليها غير تائبٍ منها؟؟

هذا مُحال!! فيقول أنا أعمل ما أعمل من المعاصي وأصوم يوم عرفة، ويوم عاشوراء يُكفّر السنة اللي فاتت!! ويوم عرفة يكون زيادة في الأجر وكأنه ضمن ذلك!!

لابد من أن تكُف عن الكبائر، حتى تقوىٰ هذه المُكفرات على تكفير الصغائر.

يقول: على أنه أن لا يمتنع أن يكون صوم، يوم عرفة، ويوم عاشوراء، مُكفرًا لجميع الذنوب العام على عمومه.

وتكون من نصوص الوعد التي لها شروط وموانع، ويكون إصراره على الكبائر مانعًا من التكفير، فإذا لم يُصر على الكبائر لتساعد على الصوم وعدم الإصرار، مادام لا يُصر على الكبائر، ولا يأتي بها يتساعد الصوم مع ترك الكبائر على تكفير الصغائر.

كما كان رمضان والصلوات الخمس مع اجتناب الكبائر متساعدين متعاونين على تكفير الصغائر، مع أنه سبحانه قد قال: { إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا }[النساء: 31] فعُلم أن جعل الشيء سببًا للتكفير لا يمتنع أن يتساعد هو وسببٌ آخر على التكفير، لا ينافي أن يكون لابد من شيء ثاني يساعد هذا السبب حتى يكون يُكفر.

صحيح أنّ صوم يوم عرفة يُكفر وصوم عاشورا يُكفّر، لكن لابد معه من شيء ثاني يسنده ويساعده، حتى يقوى على التكفير، وهذا الشيء هو اجتناب الكبائر ويكون التكفير مع اجتماع السببين أقوىٰ وأتمّ منه من انفراد أحدهما، وكلما قويت أسباب التكفير كان أقوى وأتم وأشمل.

وكاتكال بعضهم وهذا نموذج آخر من المغترين بالله ﷻ، اتكال بعضهم على قوله ﷺ حاكيًا عن ربه ﷻ: "أنا عند حُسن ظنّ عبدي بي، فليظُنّ بي ما شاء "يعني ما كان في ظنّه إنّي فاعله به، حسب ما تظُنُّ بالله ﷻ سوف يؤتيك الله تبارك وتعالى.